

# شِبَام

## اليمن السعيد: قصة سياحة

[حضرموت - خالد الضبابي](#)

منذ سنين طويلة، رما منذ سن الطفولة، وأنا أسمع الكثير من الحكايات والأحاديث التي تتردد بين الناس حول مدينة "شِبَام حضرموت" وتاريخها العريق، وجمالها الأخاذ. لهذا السبب، راودني الحلم كثيراً لزيارتها والتعرف عن قرب على كل محتوياتها.



A night view

منظر ليلي



General view

منظر عام



باب شباباً

بوابة جميلة

الإسلامية نصيّب بارز، فقد تشرفت المدينة بنزول الصحابي الجليل زيد بن لبيد الأنصاري، عامل رسول الله (ص) على حضرموت فكانت مدينة شباباً هي إحدى المدينتين اللتين سكنهما والأخرى هي مدينة ترمذ.

### البناء في مدينة شباباً

عند تتبع تاريخ هذه المدينة في المراجع والكتب، اتضح لنا أنه في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري بدأ المهندس المعماري الحضرمي يفكّر بل ويعمل ليل نهار من أجل بناء مدينة لا تزيد مساحتها عن 350,000 متر مربع وهي بالتقريب العبقري حقاً إلا التأمل في الفضاء والذي وجد فيه مجالاً عمودياً للبناء، فتم إعمار هذه المدينة بطبقات متعددة حتى أصبحت المدينة تضم 500 منزل يتراوح ارتفاع مبانيها من 25 - 30 م لكل بناء، وعدد طوابقها يتراوح بين 5 - 6 طوابق، وهي تضم بين أرققتها الجميلة والمداخلة العديدة من المساجد والمدارس الدينية والأسواق الشعبية المتباشرة هنا وهناك.

♦ ار في مخيالي، قبل الوصول إليها، العديد من التساؤلات حول هذه المدينة وتاريخها الموجل في القدم، وهي من المدن القليلة التي حظيت باهتمام من قبل منظمة اليونسكو، فأعتبرتها من مدن التراث العالمي، ويسمّيها السياح العرب "أقدم ناطحات سحاب في العالم". فكل هذه التسميات لا تذهب بعيداً عن واقع الحال هذه المدينة، فقد بنيت قبل أن يبني الأميركيون نيويورك بئات السنين، كما أن ناطحات السحاب الحالية، في أي بقعة من بقاع العالم، تبني من مادة الاسمنت والمعدن، ولكن شباباً حضرموت كانت ولا تزال تباهي منذ القدم بأن ناطحات السحاب فيها تبني من مادة الطين الخالص! وبقيت صامدة في وجه الدهر، إنها تبدو وكأنها مارد جبار ظهر فجأة بين رمال صحراء حضرموت، وأسر الكثير من زارها، فأجبرهم على حبها والتغنى بها، فكان الألماني ليوهرش أول الأوروبيين الذين زاروها في العام 1893 . كما زارها المستشرق الإنجليزي الدكتور سرجنت، الذي أرسلته جامعة لندن لدراسة الشعر العامي في حضرموت سنة 1947 م وأخرون.

ربوة صغيرة تقف أمامنا بكل شموخ، أجريتنا على الصعود إليها، لنتمكن من التمتع بمنظر المدينة الجميل خصوصاً في لحظات ما قبل الغروب، انشغل كل أصدقائي بالمازاح والتقاط الصور، بينما انفرد أنا بزاوية أتفكر في موقع المدينة في قلب وادي حضرموت، ذلك الوادي المبارك الذي أطلق عليه "وادي الأحقاف" نظراً لقربه من أحافير الرمل- منازل عاد الأولى الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم- (وَادُكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ) (سورة الأحقاف، الآية 21). كما أن موقعها الفريد يدل دلالة واضحة على أن من أسسوها كانوا على دراية تامة بأهمية موقعها، وكانت بحق عاصمة الوادي، وللتقي القوافل الحمّلة بثوابت ذلك الزمان من البخور واللبان والمر والصبر ومخالف أنواع البضائع القادمة من الشرق، من طفار أرض اللبان ومن الشحر الميناء الفديم لحضرموت والذي جلب إليه بضائع الهند والصين ومنه إلى مدينة شباباً وشبوة عاصمة مملكة حضرموت وأمارب عاصمة السبيئين ثم إلى مصر أو الشام، وعندما بزغ فجر الإسلام كان لأهل شباباً الحظ الأولي ولهم في الفتوح



**”عندما بزغ فجر الإسلام  
كان لأهل شباباً الحظ الأولي  
ولهم في الفتوح الإسلامية  
نصيب بارز، فقد تشرفت  
المدينة بنزول الصحابي الجليل  
زيد بن لبيد الأنصاري.“**



Cascading windows

وقد تساءل نفسك عن كيفية تشييد مثل هذه المباني؟ ومن الطين أيضاً؟ وهو تساءل في محله، والإجابة عن ذلك يوفرها سكان هذه الأحياء، خصوصاً أولئك الأشخاص الذين لهم باع طويل في مجال البناء والتشييد لهذا النوع من البناء. الأمر الذي استدعاني للبحث عن شخص مختص بهذا الجانب والذي يعرف لدى العامة باسم "العلم" وهو الشخص المسؤول عن بناء منازل هذه المدينة. فعرفت منه أن العمال يبدؤون عادة بـث أشرافه في مسح الأرض المعدة للبناء، ويشترط أن تكون أرض صلبه، حيث يقومون بجلب الطين البكر الذي يكون موجوداً من أرض تمر فيها السيول، وبخلط الطين بماء تسخن التبن (الفش). ثم يدخل مجموعة من الرجال الأشداء وسط ذلك الطين ويقومون بخلطة بأيديهم وأرجلهم حتى يصبح لينا ثم يوضع على شكل قوالب معدة لذلك وتعمل منه لباتيات يتراوح طول كل لبنة من 40 - 50 سم وعرضها من 20 - 30

نوافذ



واجهة مزخرفة

سم، وجفف في الشمس، ثم يبدأ البناء به بعد وضع الأساس غالباً ما يكون من الحجارة. يبدأ البناء من الطابق الأول والذي غالباً ما يخصص لحفظ الغلال والتمور، ثم الثاني الذي يخصص للماشية من أغنام ودواجن. ثم الثالث الخاص بجلوس الرجال، ثم الرابع المخصص للنساء والذي يحتوي على المطبخ. ثم الخامس الخاص بجلوس العائلة مجتمعة، والسادس يخصص للبناء

حديثي عهد بالزواج. وعن التأمل في المدينة بشكلها الخارجي يلاحظ أن أغلب بيوت المدينة تكاد تكون مشابكة مع بعضها البعض، وعندما تشاهدتها من بعيد تبدو وكأنها كتلة واحدة بيottaها متراصة يزينها ناج من الجبس (النورة) أبيض اللون تطل على المنازل من الخارج وبعضها من الداخل أيضاً، فتعكس مناظرها الجميلة والجذابة الشمس عند الشروق وعند الغروب. كما تستعمل الأخشاب القوية لصنع المنافذ والأبواب والتي غالباً ما تكون لها أشكال زخرفية جميلة تعكس جمال تلك المنازل البدوية.

Ornate façades



حياة مزدحمة

A busy life in Shibam

”وفي الختام نقول إن مدينة شمام حضرموت هي أثر فريد لأقدم ناطحات سحاب طينية في العالم وأجمل مدينة في اليمن السعيد ذات هندسة معمارية فريدة وفن بديع.“



Building work

عملية البناء



A celebration

احتفال



Rich date palm groves

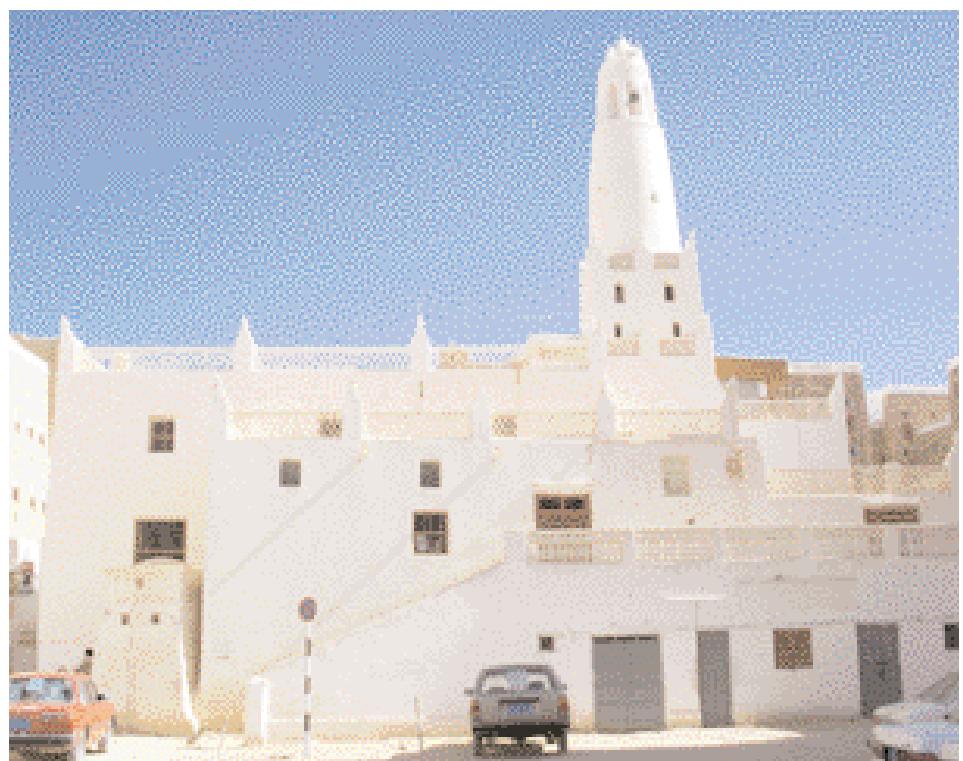
النخيل

وتتحصص في بيع أجود أنواع البخور، كما أن رائحة البخور تأخذ موقعاً آخر من المدينة، خصوصاً وقت الظهيرة، وهي تقودك لاكتشاف مكونات المائدة الشهابية وطرق أعدادها. رائحة زكية تخزي عده خباز ماهر يرحب بك على الدوام، باتساقته الخالية من الشوائب. فيضطررك إلى أن تكون واحداً من زبائنه، فتفترش الأرض وجلس على الحصير وأمامك سفرة من الحصير، ويقدم خبزه على صحن من حصير أيضاً (مصنوع من سعف النخيل) ثم يقدم لك كوباً من الفهوة الشهابية الأصلية. بساطة في المعيشة مع فن البناء الذي يرتئه تواضع وحلم وكرم.

وفي الختام نقول إن مدينة شمام حضرموت هي أثر فريد لأقدم ناطحات سحاب طينية في العالم وأجمل مدينة في اليمن السعيد ذات هندسة معمارية فريدة وفن بديع. إنها تستحق، وعن جدارة، زيارة السائح الأوروبي والزائر العربي وكل مهتم من العالم الإسلامي بالآثار والتاريخ. كما يشرفني جداً في ختام هذا الاستطلاع أن أسجل جل تقديرني للأستاذ عبدالله الكاف الذي بذل جهداً لا يأس به في تزويدي بالمعلومات التاريخية وتسهيل مهمتي في البحث والاطلاع عن هذه المدينة وتاريخها العريق. ■

يحيط بالمدينة سور دائري مرتفع عن الوادي بحوالي من 9-7 م مبني من الطوب. استخدم هذا السور كوسيلة دفاعية عن المدينة على مر العصور، ويوجد بهذا السور بوابتان، بوابة رئيسية تتصل مباشرة بفناء داخلي كبير يعتبر من الساحات الرئيسية للمدينة. تقف فيه سيارات الزوار، وفي نفس الوقت يعد هذا الموضع مكاناً مناسباً لتبادل الحديث والكلمات مع أبناء مدينة شمام، خصوصاً بعد صلاة العصر، حيث يتجمع الشهابيون في هذه المساحة فيتبادلون الأخاديد والتي لا تخلو غالباً من أخبار السياسة والاقتصاد والعلم والفن والثقافة والدين، وهو مكان مناسب أيضاً لتناول كوب من الشاي الشهابي المتعش. كما ستجد هنا فرصة للتسوق في هذا المكان حيث تتوزع المحلات التجارية الصغيرة على جانبي هذا المكان والتي غالباً ما ت تعرض ما تنتجه هذه المدينة من الغلال واللحوم ومنتجات المزارع الشهابية وبعض من المشغولات اليدوية والحرفية، وهي غالباً ما تباع بأسعار رخيصة للزوار.

وعند التجول بين أرقة هذه المدينة المالة، تصلك رائحة البخور الزكية، فتكتشف أن مصدرها محلات صغيرة تتوزع بين أرقة المدينة و عند التجول بين أرقة هذه المدينة المالة، تصلك رائحة البخور الزكية، فتكتشف أن مصدرها محلات صغيرة تتوزع بين أرقة المدينة



A mosque

المسجد